

المجلد: 06 / العدد: 01 جوان (2022)، ص 185/177

الفكر المنهجي الخليلي وأثره في تأسيس الدرس الصوتي العربي  
(مختارات من معجم العين الجزء الأول)

## The methodological thought of Al-Khalili and its impact on the establishment of the Arabic phonetic lesson (selections from the Al-Ain dictionary, part one).

د. العيمش محمد

drlaimechemohamed@gmail.com

جامعة ابن خلدون ملحقة قصر الشلالة- تيارت-  
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/04/25

تاريخ الاستلام: 2022/01/02

### ملخص:

تنبه الخليل بن أحمد إلى فكرة الحروف (الأصوات) وهي مجردة عن الكلام في وقت مبكر قبل غيره، وحدد مخارجها، ودور الجهاز الصوتي في بلورتها، ساعده في هذا حسه المرهف ودكاؤه القوي وفق منهجية علمية يأتي الحديث عنها لاحقاً.

### هدف البحث:

-التعريف بالمنهجية العلمية المبتكرة لدى الخليل في ترتيب أصوات العربية في زمن غياب مخبر البحث العلمي الحديثة.

### نتائج البحث:

-معجم العين أول معجم عربي شامل لأحرف العربية، أقامه الخليل على نُظم جديدة لم يسبقه إليها غيره، لأنه رتب مادته وفق مخارجها (أحيازها) من أقصى الحلق إلى الشفتين (باتجاه تيار الهواء المنبعث من الرئتين) ثم الأرفع فالأرفع كما قال.

- منهج الخليل في الترتيب يتفق في ملامحه العامة وتصنيفات المحدثين.

### كلمات مفتاحية:

الخليل ابن أحمد، معجم العين، الحروف (الأصوات)، مخارج (أحياز)، منهج.

### Abstract:

*Al-Khalil bin Ahmed drew attention at an early age to the idea of sounds abstract from speech, he identified their exits and the vocal apparatus role in refining them using a scientific methodology that will be discussed later.*

### Research goal:

*Introducing Al-Khalil's innovative scientific methodology in arranging Arabic voices in the absence of modern scientific research laboratories.*

### research results:

*Al-Ain Lexicon is the first comprehensive dictionary of Arabic words. Al-Khalil established it on new approach which is consistent in its features with the modernists classification. because he arranged its material according to its exits from the farthest of the throat to the lips (in the air direction emanating from the lungs) and then to the highest.*

### Keywords:

*Al-Khalil Ibn Ahmad, Al-Ain lexicon, letters (sounds), exits (ahyas), curriculum.*

مقدمة:

نهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه، منهج الترتيب الصوتي أو المخرجي، حيث رتب معجمه ترتيباً صوتياً، انطلاقاً من أبعد الحروف مخرجاً، وهنا بدأ بالأحرف التي تخرج من الحلق، ثم حروف أفصو اللسان، ثم حروف وسط اللسان، ثم وصل إلى الحروف الشفوية مراعيًا الجمع بين تقلبيات المدة الواحدة في مكان واحد. و سار على نهج الأزهري في التهذيب، وابن سيده في المحكم، ورتبوا مادتهم المعجمية على النهج نفسه (ترتيباً صوتياً) مع مراعاة التقلبيات. ومن هنا تراءت لنا الإشكاليات الآتية:

كيف اهتدى الخليل إلى بناء وترتيب مادته المعجمية في زمن غابت فيه مخابر علم الأصوات؟ وما المنهجية المتبعة في ذلك؟ وما الصعوبات التي واجهته؟

أهداف البحث:

معرفة وإدراك المنهجية العلمية التي اتبناها الخليل في ترتيبه للحروف والعوامل المساعدة في ذلك.

منهجية البحث:

اقتنحت بحثي بملخص موضحاً فيها منهج الخليل في بناء معجمه مع تسجيل إشكاليته، ووضحت فيه الهدف من البحث ونتائجه، ثم حددت الكلمات المفتاحية للملخص، أما إذا فتشنا عن منهجية الخليل بن أحمد في ترتيب الحروف (الأصوات)، أي مادته المعجمية، فكانت كالتالي:

أولاً: الأساس الصوتي في الترتيب المخرجي للكلمة دون مراعاة للجذر.

ثانياً: الأصلي والزائد من الحروف، وسنشير إلى هذا كله في ثنايا المقال إن شاء الله. أما المنهج المتبع في الدراسة فهو وصفي قائم على التحليل.

معظم الدراسات اللغوية العربية القديمة والحديثة تتفق على أن كتاب العين هو من وضع الخليل بن أحمد، على الرغم من شكوكوا في نسبته إلى تلميذه (الليث بن المظفر بن نصر الخراساني (ت185هـ) هو الذي أكمله بعد وفاة شيخه<sup>(1)</sup> إلى أن وقع بحسب قول (ابن دريد): في البصرة في سنة ثمانية وأربعين ومائتين للهجرة<sup>(2)</sup>. ومهما يكن فإن معجم العين يعد أول معجم لغوي عربي في حياة تأليف المعاجم اللغوية العربية القديمة والحديثة وصل إلينا بحمل آلاف الكلمات مرتبة وفق منهج خاص ابتدعه الخليل بن أحمد، ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة ما، وكانت فكرة هذا الابتكار من صنع هذا العالم الفذ.

عملي هذا في ثنايا البحث لا يتعلّق بالمفردات وصناعة المعاجم؛ إنما بفكرة ومنهج تأليف معجم العين للخليل بن أحمد التي كانت سبباً في ميلاد درس الصوتي العربي، فاقضت ضرورة الحديث عن هذا المعجم الذي اقترن تأليفه بتأسيس الصوتيات العربية لأول مرة في التاريخ العربي؛ الوُفُوف على "المنهجية العلمية" التي سلكها الخليل بن أحمد في ترتيب مادته اللغوية، والطريقة الابتكارية في إخضاع مادة معجمه في ترتيب الكلمات ترتيباً "صوتياً مخرجياً"، بدءاً من أقصى الحلق إلى الشفتين، مع تطبيق التبدلات الرياضية، وهذا التنظيم قد خالف فيه ما كان معهوداً للحروف الأبجدية، أو للحروف الهجائية المنسوبة للنصر بن عاصم (ت89هـ)<sup>(3)</sup>.

تمثل هذه المادة اللغوية والتي استطاع الخليل أن يجمع بعضاً منها ويدونها في سفر يحفظها من الاندثار والزوال والفناء مرجع للباحثين عند الحاجة؛ ذلك لأن حياة اللغة تكمن في استعمالها وتوظيفها في الحياة الخطابية المتداولة من قبل متكلميها عند الحاجة، كما أن المفردات هي موروث مجتمعتها المتحدث بها، كيف لا ولغتنا لغة أعظم كتاب سواي وأعظم منهج ذكره الله في قرآنه، قال تعالى: ﴿لِكَلِّمْ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعًا وَمِنْهَا جَاهًا﴾<sup>(4)</sup>. وتكرماً لهذا الكتاب لمن أراد التمسك به، والإيمان به، عكف الأوائل على دراسة لغته وتقييدها أمثال الخليل بن أحمد وأترابه اللغويين الذين جاءوا بعده.

فكرة جمع الخليل مادة معجمه:

وعندما عزم الخليل على تنظيم كتاب العين، وتبلورت فكرة المادة في ذهنه، واجهته صعوبة تتعلق بكيفية الإلمام باللغة التي هي بمثابة بحر كبير لا يمكن الإحاطة به بسهولة ويسر، ولو أفنى أي باحث كل حياته في الجمع ما استطاع أن يتوصل إلى الإلمام بعشرها. لكن ذكاء الخليل الثاقب أهداه إلى طريقة مكنته من الإحاطة بكل ما قالته العرب في زمانه وقبل زمانه. وهذا بفضل فكرة خارقة اهتدى إليها. وفيما روي عن تلميذه الليث بن المظفر بن نصر بن سيار.

قال: «كنت أسير الخليل بن أحمد، فقال لي: يوماً لو أنّ إنساناً قصد وألف حروف ألف وباء وطاء على ما أمثله، لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب، وتبيهاً له أصل لا يخرج عنه شيء منه بنة. قال: فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرابعي والخماسي، وأنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه...»<sup>(5)</sup>. «لقد فكر ملياً في تركيب كلام العرب، إلى أن استقر رأيه على أنّ كلام العرب كله إما أن يكون مركباً من حرفين (صوتين) اثنين صحيحين، وهو يقول: «علم أنّ الكلمة الثنائية تنصرف على وجهين نحو: قد، ودق، وشد، ودش»<sup>(6)</sup>.

وقد تكون مركبة من ثلاثة أحرف (أصوات) صحيحة تنصرف على ستة أوجه، وتسمى مسدوسة، وهي نحو: ضرب، صبر، برض، بصر، رضب، رضى. والثلاثي المعتل، والكلمة الرباعية تنصرف على أربعة وعشرين وجهاً، وذلك أنّ حروفها هي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح، وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجهاً، يكتب مستعملها، ويلغى مھملها، وعزّز هذا الشرح بالتمثيل، فيقوله: عبقر، عقرب، عقبر، عرقب، عرق، قعرب، قعبر، قعرب، قعرب، قعرب، رقعب، رقعب، رقعب إلى غير ذلك.

والكلمة الخماسية تنصرف على مئة وعشرين وجهاً، وذلك أن حروفها، هي خمسة أحرف (تضرب) في وجوه الرباعي، وهي أربعة وعشرون حرفاً، فتصير مائة وعشرين وجهاً يستعمل أقاله ويلغى أكثره غير المستعمل. نحو قوله: سفرجل، سلفرج، سفجزل، سبجزل، سبجرفل، سرفجل، إلى غير ذلك. ثم واجهت الخليل بن أحمد مسألة ترتيب الكلمات، وهو عمل جدّ مهم يخص المنهجية، إذ رتب المفردات بطريقة مغايرة تماماً لترتيب الحروف المعهود لدى العرب آنذاك وهو: (ا ب ت ث ج ح خ).

وبعد ذلك سمّي كتابه كتاب العين لأسباب ما. وهي: العين مخرجها من الحلق حرف صحيح، بالرغم من أن الهمة أعمق الحروف مخرجاً غير أنها اعتمدت ضمن حروف العلة "أ. وي" مخرجاً، والهاء تليها، إلا أن الهاء حرف مهموس، والهمس يعتبر ضعفاً، والضعيف لا يمكن الاعتماد عليه، فركن إلى حرف العين، والعين حرف مجهور شديد، والجر أقوى من الهمس، وهذا ما جعل الخليل يعنون حرف العين لكتابه. ثم هذا الصوت يمثل عين الكلمة الثلاثية الصحيحة حروفها، وعين الكلمة الثلاثية ممّا اتصلت أو لحقت الكلمة لا تتأثر بحذف ولا تغيير، لذا فضل الخليل تسمية كتابه بـ(العين)<sup>(7)</sup>، وهذا يعني أنه ابتداءً بصوت العين وتابع نظاماً خاصاً ابتدعه، وشذ عن النظام الأبجدي، والألف بائي الهجائي المعهود.

الخليل هو أول من وضع النطق المنهجي في الدراسات اللغوية، وبيان ما انتهجه في معجم "العين" إذ جعل الصوت اللغوي أساس نهجه اللغوي المعجمي، ولذلك حصلت له الريادة في التأسيس. والمتأمل في معجم العين يتأكد جيداً من المنهجية التي امتاز بها الخليل بن أحمد الفراهيدي، إذ كان أول من اعتمد ترتيب الحروف ترتيباً صوتياً وفق موضع النطق، أو وفق الأحياء والمخارج، بحيث بدأ بحروف الحلق وانتهى بالحروف الشفوية، وكان أيضاً أول من اعتمد على هذا الترتيب على أساس صوتي حتى ذهب بعضهم إلى القول «أما علماء اللغة العرب فقد بدأت محاولاتهم بعمل الخليل ابن أحمد<sup>(8)</sup>، فلم أجد نحوياً من نحاة الأولين أحس بضرورة الدراسة الصوتية لفهم أسرار العربية غير الخليل بن أحمد».

### منهج الخليل في صناعة المعجم:

مقدمة كتاب "العين" على إنجازها أول مادة في علم الأصوات، دلّت على أصالة علم الخليل وأنه صاحب هذا العلم ورائده الأول.<sup>(9)</sup> والخليل يقول في هذه المقدمة: «هذا ما ألفه الخليل ابن أحمد البصري من حروف: (أ، ب، ت، ث) مع ما تكملت به فكان مدار كلام العرب وألفاظهم ولا يخرج منها عنه شيء»<sup>(10)</sup>. ثم نلاحظ أن الخليل يعرض علينا حجته في منهجه بقوله عن عدم مكنثه «بأن يبتدئ التاليف من أول (أ، ب، ت، ث)، وهو الألف؛ لأن الألف حرف معتل، فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني، وهو الباء، إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصر أولاه بالابتداء أدخل حرفاً في الحلق»<sup>(11)</sup>.

الواضح أن دلالة هذا الكلام تعني أن الخليل قد وعي الترتيب الألفبائي في زمن لم يسبقه أحد، إلا أنه لم يرغب في الأخذ في منهجه؛ لأن أول حروف هذا الترتيب هو حرف "الألف" وهو حرف معتل، ولا معنى أن يبتدئ

بما يليه وهو " الباء "؛ لأنه ترجيح بلا مرجح، وتقديم دون أساس، فذاق الحروف تجريبيا، فرأى أولاها بالابتداء حروف الحلق، وذاق مرة أخرى، فرأى " العين " أدخل حرفا منها في الحلق.

وفي هذا الشأن وتأكيدا لمنهجه المتبع يقول (ابن كيسان): سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: «لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مضمومة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه " العين " و" الحاء " فوجدت " العين " أنضع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف».<sup>(12)</sup>

الداعي إلى هذا الترتيب هو عملية إجماع الحروف التي كانت ترسم مائلة. وأذ بالخليل يفكر في ترتيب جديد يقوم على منهج علمي اهتدى إلى ترتيب حروف الهجاء تبعا لارتكازاتها في جهاز النطق، وبدأ بحروف الحلق كما أشرنا إلى ذلك سابقا لأن مدرجة الحلق هي أولى المدارج، ثم واصل بحثه في المدارج متنقلا من مدرجة إلى مدرجة، فكان ترتيب الحروف كالآتي: (ع ح هـ)، (خ ع)، (ق ك)، (ج ش ض)، (ص س ز)، (ط ت د)، (ظ ث)، (ر ل ن)، (ف ب م)، (أ وى آ) أو همزة (ء). ومن ثم «دبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد أن مخرج الكلام كله من الحلق فصدر أولاها بالابتداء أدخل حرفا منها في الحلق»<sup>(14)</sup>.

من المؤكد أن هذا الترتيب يدل على فطنة الخليل الصوتية التي أعطته مقاليد الريادة في هذا الاختبار الاستقرائي فتوصل إلى استنتاج مبتكر ممكن من تقليب حروف العربية ووضعها في المخارج الصوتية تبعا لمنازلها بدءا بالحلق واتباعا بإطباق الشفتين بحرف الميم، دون استعمال الأجهزة العلمية التي نعرفها اليوم، والتي لم تأت بما يخالف ما أصله الخليل في منهجه إلا قليلا، ولقد انتهى الخليل في توزيع الحروف وفق مخارجها إلى عشرة أصناف، أو أحياز بما فيه موقع الهمزة، وحروف العلة الثلاثة، وإذا دققنا في ذلك التصنيف وفي ذلك الزمن، فإنه في حقيقة الأمر مفاجأة؛ لأنه لم يقف عند تقسيم الحروف فيزيولوجيا فحسب؛ إنما صنف الحروف المعجمية كما لاحظنا تصنيفا صوتيا، كان أساسا في بناء علم الأصوات.

قال الخليل مثلا في وصفه للحروف: «العين والحاء والغين والحاء حلقية؛ لأنها حروف مبدؤها من الحلق إلى أن انتهى إلى آخر مدرجة فقال والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد؛ لأنها لا يتعلق بها شيء»<sup>(15)</sup> تعداه إلى إبعاد علمية موصفة توصيفا دقيقا ذاتيا ورائدا أفاد بموضوعيته ودقته اللغوية العالمية جمعاء، إلى أن انتهى من مقدمته إلى القول: «بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين، وهو أقصى الحروف، ونصمُّ إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب، وبدأنا الأبنية بالمضاعف؛ لأنه أخفُّ على اللسان، وأقرب مأخذا للمتفهم».<sup>(16)</sup>

إدراك الخليل أصول المخارج الصوتية كان موطئا صالحا لاستنتاج الأصول النطقية ومعرفة الأسرار الصوتية. ولم يخطئ محققا كتاب " العين " في كلاهما بأنه في هذه المقدمة بأكبر معلومات صوتية لم يدركها العلم فيما خلا العربية من اللغات إلا بعد قرون عدة من عصر الخليل، والجدير ذكره هاهنا أن الخليل استعمل لفظة " حرف " دالاً على إرادة الصوت منها كانت الأصوات عنده هي:

الحروف الدُّلِق، الحروف الشفوية، حروف الحلق، حروف أقصى الحلق، الحروف الصالح الحروف الضمُّ، حروف الجوف، حروف اللين، حروف ما بين عكدة اللسان، الحروف الهوائية الحروف الشجرية، الحروف الأسلية، الحروف النطعية، الحروف اللثوية. ثم يسمي هذه الأصوات مضافة إلى مخارجها النطعية ومدا رجمها الصوتية بالنظر إلى ما يصطدم بها من مكونات النطق في أثناء اندفاع الهواء؛ لأنه رأى من خلال فطنته الصوتية أن من هذه الحروف ما يخرج من الجوف وليس له حيز تُنسب إليه سواء، ومنها ما يقع في مدرجة اللهاة، وما هي هوائية، أي أنها في الهواء كالألف اللينة والواو والياء.

المتأمل في مقدمة كتاب العين يجد " المنهج الشمولي " \* والدقيق الذي وضعه الخليل للمخارج الأصواتية مبنيًا على المقارنة بين بعض الأصوات، إذ وضع بعضها في حيز مميّز عن حيز بعضها الآخر مفرقا بين الخصائص الصوتية للأصوات كلها ومعالجا دوافع إلحاق بعض الأصوات ببعض المخارج من دون سواها، فنجد ذكر العلة والسبب، وستظهر العلة التي تخفى ولا تكاد تبين فأقصى الحروف كلها " العين " ثم " الحاء " ولولا بحة لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ثم " الألف "، " الواو "، " الياء " ويضعها في حيز واحد كما مرَّ معنا سابقا.

أما الهمزة في الهواء فلم يكن لها حيز تنتسب إليه، إلا أن في الهمزة اختلافاً، فالخليل لم يُحيزها بينما تلميذه سبويه يبتدئ بها ويعتبرها من أقصى الحلق أما بن جني يعتبرها أول الحروف مخرجاً ويبتدئ بها. <sup>(17)</sup> ونلاحظ أن مُحمَّد بن مُحمَّد الجزري يوافق الخليل باعتبار الهمزة هوائية تنبعث من الرئة؛ لأن ابن الجزري يراها صوتاً مرفقاً سلس النطق، لا مبالغاً في تحقُّقه. <sup>(18)</sup>

### رأي الخليل في مخرج "الهاء":

رأي الخليل في مخرج "الهاء" وأراء الذين لحقوا به من علماء العربية؛ إنما هي آراء تُتم عن حس مرهف وذوق صوتي رائع بعيد في استناده إلى العلوم المخبرية والتشريحية الحديثة التي ساعدت العلماء الأوربيين في معرفة وتحديد مواقع الأصوات، ومخارجها معرفة لم تأت بعيدة عما سبق إليه العرب من قبل وبخاصة الخليل منهم، وشهد بذلك شاهد من غير أهلها، فهذا "دانيال جونز" يقول: إن "الهاء" صوت ليس بالمجهور ولا هو بالمهموس؛ إنما هو حالة بين الحالتين، والحقيقة أن "الهمزة" صوت مهموس غير مجهور. وهذا ما ذهب إليه "هفنر" باعتبارها صوتاً مهموساً دائماً، ففي هذا الموقف لا يبدو تعارض، أو فارق كبير؛ لأن كليهما نغماً عن الهمزة صفة الجهر إلا أن كلا منهما قد أصدر حكمه بناء على نظريته إلى الحجر.

ويرى (جونز) يعتبر أن للحجر ثلاثة أوضاع: الاحتباس، الافتتاح دون ذبذبة، الافتتاح مع الذبذبة وبذلك تكون الهمزة صوتاً لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ بينما يعتبر (هفنر) أن للحجر وظيفتين هما: ذبذبة الأوتار الصوتية، وهي صفة الجهر، وعدم ذبذبتها، وهي صفة المهمس، ويدخل في حالة عدم الذبذبة احتباس في الحجر أو انطلاق فيها في بقية المهموسات، على أن من المسلم به لدى كلا منهما أن الهمزة عبارة عن احتباس في الحجر. <sup>(19)</sup>

هذا ولا بد لنا من لفت الانتباه إلى الاهتمام الصوتي الذي تميزت به مقدمة كتاب "العين" على أنها لم تكن بمنأى عن الاهتمام اللغوي الذي كان الخليل رائداً فيه ومنظراً فذا أفاد منه اللغويون جميعاً ولا يزالون، ولذلك من البديهي أن نرى تداخل الصوت باللغوي وبخاصة إذا ما وقفنا على قول الخليل في "ألف" "الحماسي" التي يعتبرها أصلية: «أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عماداً وسلاماً للسان إلى حروف البناء، لأن اللسان لا ينطق بالسكان من الحروف فيحتاج إلى "ألف الوصل"». <sup>(20)</sup>

ويرى مُحَقِّقاً الكتاب أنَّ الخليل كان بوسع أن يصرح بأن هذه (الألف) التي هي في اقشعر والسحنفر هي من حروف الزيادة؛ إنما أرادها وسيلة لإخراج الصوت فكان أي صوت لا يمكن للمعرب أن ينطقه ويأخذ الصوت مادته وصفته إلا بعد اعتماد على صوت الألف الأولى "الهمزة" قبله، ومن أجل ذلك دعاها كما نرى عماداً أو سلاماً، في قوله: «لأن حرف اللسان لا ينطق بالسكان من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل يشير إلى أن إخراج الصوت وهو ساكن بصفته محتاج إلى وسيلة إلى إخراج» <sup>(21)</sup>

ويبدو أن المنهج الصوتي الفني الذي اتجه الخليل ذو أصاله ووضوح، مما مكّنه من السير فيه دون أدنى تعثر أو خطأ، وبه استطاع أن يحصر معجمه "العين" بأبعاد صوتية ناهيك بوصفه الأصوات في حالاتها الثلاث: الانفراد، والاجتماع، وانضمام البعض منها إلى البعض الآخر، وقد أضاف إلى ذلك معياراً دقيقاً من حيث بنية الكلمة العربية بأشتاتها على الحروف الذلق والشفوية، وقال: إن الكلمة الأعجمية لا تشتمل على أي من هذه الحروف، ولقد أشرت إلى هذا سابقاً «...فاعلم أن تلك الكلمة مبتدعة ليست من كلام العرب، لذلك لست واجداً من يسمع من كلام العرب بكلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق أو الشفوية واحداً أو اثنان أو أكثر» <sup>(22)</sup>. فهذا المعيار يُمَنِّع الدخيل والمعرب والمولد، والمحدث، والمرتل، المبتدع من دخول لغة العرب وهذا ما نحا إلى بيانه الليث بقوله: «قلت: نحو: الكشعئج، والخضعئج، والكشعطج وأشبهاهن فهذه مولدات لا تجوز في كلام العرب؛ لأنه ليس فيهن شيء من حروف الذلق والشفوية، فلا تُقبَلُ منها».

بهذا المعيار الذي وضعه الخليل يُمَنِّع الدخيل والمعرب والمولد، والمحدث، والمرتل، المبتدع من دخول لغة العرب وهذا ما نحا إلى بيانه الليث بقوله «قلت: نحو: الكشعئج، والخضعئج، والكشعطج وأشبهاهن فهذه مولدات لا تجوز في كلام العرب؛ لأنه ليس فيهن شيء من حروف الذلق والشفوية، فلا تُقبَلُ منها شيئاً وإن أشبه لفظهم وتألّفهم، فإن النحرير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس في كلام العرب إرادة اللبس والتعنت» <sup>(23)</sup>

وقد خَلَصَ بعض اللغويين العرب المحدثين إلى القول: بأنه من أحسن ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما نجده عند الخليل من وصف الجهاز الصوتي، وهو الحلق والغم إلى الشفتين، وتقسيمه إياه إلى مناطق ومدارج يختص كل منها بحرف أو مجموعة حروف، وما أشار إليه من ذوق الحروف لبيان حقيقة المخرج، وهُدِي بذلك المتفوق في ذلك إلى مقاييس صحيحة أقر كثير منها علماء الأصوات المحدثون، ومن الطريف حقا أن نرى مصطلحات علم الأصوات الحديث تتفق أكثرها مع المصطلحات التي وضعها الخليل، وهي قريبة منها كل القرب، بل كان كثيرا منها يشير إلى أنها مصطلحات الخليل ترجمت ترجمة تكاد تكون حرفية.

فمصطلح (المجهور) يقابله بالإنجليزية مثلا مصطلح (voiced).

ومصطلح (المهموس) يقابله (voiceless أو unvoiced).

ومصطلح (الشديد) يقابله (stop أو plosive).

ومصطلح (الرخو) يقابله مصطلح (fricative أو continuant).

ومصطلح (المكرر) وهو الرء يقابله مصطلح (rolled أو trilled).

وما علم الأصوات اللغوية عند الغربيين ببعيد، وكل ما كان لهم من ذلك هو ما سبق إليه اليونان من دراسة للظواهر الصوتية من ناحية السماع. ولم يتناولوا دراسة الأصوات من حيث مخارجها، ولا من حيث صفاتها بالصورة التي تمت على يد الخليل، ولم يسبق الخليل بالدراسة الصوتية الوصفية لمخارج الحروف وصفاتها إلا ما قام به الهنود، والإغريق. وبذلك استكمل الخليل وتلامذته، ما فات اليونان والإغريق، وخلفوا ما ساءه المحدثون بعلم الأصوات الوصفي (discriptionphonities).

منهج الخليل في التصنيف أو الترتيب ومقارنته مع المحدثين:

المنهج الذي وضعه لأصوات العربية طبقا للمخرج أو موضع النطق كان يتفق في ملاحظته العامة مع تصنيفات المحدثين، وقد بدأ الخليل في هذا الترتيب طبقا لاتجاه تيار الهواء المنبعث من الرئتين، ولذلك صنف الأصوات تبعا لمخرجها مبتدئا من الحلق ثم الأرفع فالأرفع كما قال. وقوله الأرفع فالأرفع له دلالة هامة في تحديد موضع نطق كل صوت، وهذا ما لم يلتفت إليه كثير من الذين نقدوا تصنيفه وتحديد موضع كل صوت، بما له من صلة من الصوت.

تصنيف الخليل قام على تحديد كل من المخرج وحيز الصوت ومدرجته، فالمخرج هو الموضع الذي يحدث فيه الاعتراض لمجرى الهواء الخارج من الرئتين، ويعتمد في تحديده على معيار الأرفع فالأرفع، والحيز المقصود به الفراغ الذي يشغله عدد من الأصوات في الحلق أو الغم. أما المدرجة، أو المدارج فهي معلم من معالم منهج الخليل الخاص في ترتيب مادته. (24)

أما الصوت، فهو الموضع الذي يبدأ منه الصوت، وهو طريق الهواء من موضع الاعتراض من حيث مخرج الصوت. فدرجة الباء مثلا من بين الشفتين، ومدرجة التاء من بين طرف اللسان وأطراف الشنبا، وهكذا في كل صوت له مدرجة، فالواقع أن الخليل اهتم كما نلاحظ بالأحياز والمدارج في منهجه هذا دون علماء الأصوات الذين جاءوا من بعده؛ لأن تحديد الحيز والمدرج ضروري لفهم طبيعة بنية الكلمة العربية في حال التأليف والتركيب.

وإذا دققنا في تصنيف الخليل للأصوات نجده تصنيفا علميا نظريا لم يكن هدفه الأول، وإنما كان هدفه معرفة خصائص البناء الصوتي للكلمة العربية في ضوء هذه الخصائص ومن ثم فإن منهجية التصنيف طبقا للأحياز والمدارج أحكم في معرفة ذلك من حيث تقارب الأصوات وتباعدها. ولنأخذ مثلا على ذلك الجيم والشين والباء والضاد فسنجد أن الجيم والشين والباء من مخرج واحد عند سيبويه، في حين أن الضاد لها مخرج مستقل. بينما نجد الجيم والشين والضاد في حيز واحد عند الخليل.

وقال: في حين أنه يجوز أن تتألف من الجيم والشين والباء، وإن كان مخرجا واحدا كما قال سيبويه، كلمة عربية مثل كلمة جيش، ويشيح كما استدلل بعض هؤلاء العلماء على فصاحة الكلمة أو عجمتها بعد أو قرب مخرج أصواتها، أي كون هذه الأصوات من حيز واحد أو من أحياز متباعدة وهو المعيار الذي أقام عليه ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) مفهومه في فصاحة الكلمة، ولعل هذا ما يفسر السبب الذي جعل الخليل يبدأ معجمه بصوت العين لا بالهمزة، مع أنه كان يعرف أنها أعمق الحروف مخرجا، ولكنه وجدها متغيرة وغير ثابتة، كما فطن أيضا إلى أن الهاء تأتي بعد الهمزة، إلا أنها

ليست بصناعة العين، ووجد أن العين أصلح الأصوات الخلقية للبدء بها، ومن خلال تصنيفه للحروف طبقاً للأحياز والمدارج استطاع أن يحدد المهمل والمستعمل من الأبنية في كلام العرب، وبذلك سلك منهجا مستقلا مخالفا للإطار الذي وضعه علم الأصوات الحديث ومناهج دراستها قد تختلف عما وضعه الخليل.

والمنتفع لنشأة الدرس الصوتي على يد الخليل يتأكد أنه جاء ضمن الجو الحضاري والثقافي عصرئذ؛ لأنه على ما وهبه الله من عقل مستوعب، وذهن ناقد ألقت إليه البصرة كل ما لديها، وتعهدهت تلك البوادي بكل ما فيها، فكانت له تلك الثقافات فحفظها وتمثلها وأعاد صياغتها، وأحكم بناءها وتبويبها وتصنيفها، وأضاف إليها تجاربه وإبداعاته. ثم أملاها على الدارسين في حلقات العلم، فظفر بالعقل من طور السداجة و الفجاجة إلى طور النضج والاكتمال<sup>(25)</sup>. ومن هنا انتال على مجلسه الدارسون ليأخذوا من علومه اللغوية وابتكاراته المبكرة.

خاتمة:

منهجية الخليل في بناء معجمه، يدل على ذكائه المفرط وتبعه القويم الذين أعطاه مقاليد الريادة وفق هذا النهج بدون منازع رغم الآراء التي تُنسب لغيره والتي رَدَّ عنها الكثير من الباحثين دون إقراض الجهود الآخرين كما مر معنا في متن هذا البحث، وهنا توصل الخليل إلى استنتاج مبتكر مكنه من تقليب حروف العربية ووضعها في المخارج الصوتية تبعا لمنزلة بدء بالحلق و انتهاء بإطباق الشفتين بحرف الميم، في زمن غابت عنه الأهمزة العلمية المتطورة التي نشهدها اليوم، والتي تحدد مخارج الحروف بدقة، والتي كذلك لم تأت بما يخالف ما أصله الخليل في منهجه إلا قليلا. إنها عزائم الكبار الذين فقدناهم قبل أن نحتك بهم ونجلس إلى حلقاتهم ونأخذ من علمهم على المباشر.

نتائج البحث:

-معجم العين لبنة أساسية في الدرس اللغوي العربي، وفيه بواكير معلومات وقضايا لغوية، كما يعدُّ أول مادة استقتى منها العلم الحديث موادَّ اللغوية.

اقتراحات:

-توجيه طلبتنا إلى قراءة وإعمال العقل في فهم فكر الخليل المنهجي، سواء في مجال علم الأصوات، أو غيرها من العلوم اللغوية التي خلَّفها لنا في تراثنا العربي.

الهوامش:

1 ينظر: أحمد أمين ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، (1343هـ-1935م)، ج1، ص290، وآل ياسين، محمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980م، ص197، 198.

2 ينظر: ابن النديم، الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم عليه د/ يوسف علي طويل، ووضع فهرسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1416هـ-1996م)، ص67.

3 ينظر: د/ حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص164. 4المادة، من48.

5 د/ ابن النديم، الفهرست، ص67، مرجع سابق.

6 الخليل بن أحمد، معجم العين، تحقيق د/ مهدي الخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، ج1، ص59.

7 ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص59، 109.

8 حلمي خليل، دراسات في اللغة و المعاجم، دار النهضة العربية، 1998م، بيروت، 1998م، ص35.

9 ينظر: د/ حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم، ص64، مرجع سابق، وسارا الزهراني، الكليات والأصول اللغوية في معجم العين دراسة وصفية تحليلية، السعودية، جامعة أم القرى، دط، 2015م، ص4.

10 الخليل بن أحمد، معجم العين، ج1، ص63-69، مرجع سابق.

11 الخليل بن أحمد، كتاب العين ج1، ص27، 47، مرجع سابق، وينظر: رضا أحمد، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1958م، ج1، ص10.

- 12 الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج1، ص51، 58، 69.
- 13 ينظر: المرجع نفسه، ص51، 58، 69، و د/ مهدي الخزومي، عبقرى من البصرة، ص36، مرجعين سابقين، والحزواي محمد رشاد، المعجم العربي إشكالات و مقاربات، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991م، ص207.
- 14 ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج1، ص73-77 مرجع سابق.
- 15 الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج1، ص47، 52، 58، 69، ود/ حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعجم، ص27، 28، 34، مرجعين سابقين، وكشلي، فؤاد حكمت، كتاب العين بن أحمد الفراهيدي، دراسة وتحصيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص49.
- \* المنهج الشمولي: ينظر: فخري خليل النجار، الخليل بن أحمد الفراهيدي، آراء وإنجازات لغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009م، ص13.
- 17 ينظر: د/ حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعجم، ص45، 46، 57، 36، والخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين ج1، ص51، 58، مرجعين سابقين، والطيّب، البكوش، بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم التاريخي، مجلة المعجمية، عن جمعية المعجمية العربية، تونس، "1989-1990م"، العدد5، 6، ص391.
- 18 ينظر: ابن الجزري، أبو الحسن محمد بن محمد الدمشقي الحافظ، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة محمد علي الصباغ، دار الكتاب العربي، د ط، د ت، ج1، ص217.
- 19 ينظر: د/ عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1986م، ص167، 168، عبد الحميد محمد أبو سكين، المعجم العربية، مدارسها ومناهجها، دار الفروق، ط2، 1402 هـ، ص33.
- 20 ينظر: الخليل، كتاب العين، ج1، ص69.
- 21 المرجع نفسه، ص33، وإبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص209.
- 22 الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج1، ص47، مرجع سابق.
- 23 الخليل بن أحمد، كتاب العين ج1، ص52، ومحمد رشاد الحزواي، أعمال مجمع اللغة العربية، القاهرة، مناهج ترقية اللغة العربية معجماً و مصطلحاً و نظيراً، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص97، 98.
- 24 ينظر: د/ حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعجم، ص47، مرجع سابق، وإميل يعقوب، المعجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، بيروت، دار العلم للملايين، دط، 1985م، ص15.
- 25 ينظر: الخليل من خلال مقدمة كتاب الخليل، ص16، مرجع سابق، وحسين نصّار، المعجم العربي، نشأته و تطوره، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1988م، ص617، 616.

#### قائمة المراجع والمصادر:

#### القرآن الكريم برواية حفص.

- إبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
- ابن الجزري، أبو الحسن محمد بن محمد الدمشقي الحافظ، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة محمد علي الصباغ، دار الكتاب العربي، د ط، د ت، ج1.
- ابن النديم، الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم عليه د/ يوسف علي طويل، ووضع فهرسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1416هـ - 1996م).
- أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، (1343هـ - 1935م)، ج1.
- آل ياسين، محمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.
- إميل يعقوب، المعجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، دط، 1985م.
- حسين نصّار، المعجم العربي، نشأته و تطوره، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1988م، ج1.
- حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

- حلي خليل، دراسات في اللغة و المعاجم ، دار النهضة العربية، بيروت، 1998م.
- الحمزاوي مُجد رشاد، المعجم العربي إشكالات و مقاربات، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991م.
- الخليل بن أحمد، معجم العين، تحقيق د/ محمدي الخزومي، ود/إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، د.ت، ج.1.
- رضا أحمد، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان، 1958م، ج.1.
- سارا الزهراني، الكليات والأصول اللغوية في معجم العين دراسة وصفية تحليلية ، السعودية، جامعة أم القرى، دط، 2015م.
- الطيب، البكوش، بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم التاريخي، مجلة المعجمية، عن جمعية المعجمية، العربية، تونس، "1989-1990م"، العدد 5، 6.
- عبد الحميد مُجد أبو سكين، المعاجم العربية، مدارسها ومناهجها، دار الفاروق، ط 2، 1402هـ.
- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1986م.
- فخري خليل النجار، الخليل بن أحمد الفراهيدي، آراء وإنجازات لغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط.1، 2009م.
- فؤاد حكمت، كتاب العين بن أحمد الفراهيدي، دراسة وتحصيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1996م.
- مُجد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية، القاهرة، مناهج ترقية اللغة العربية معجا و مصطلحا و تنظيرا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط.1، 1988م.
- يوسف علي طويل، كتاب الفهرست، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، (1416هـ- 1996م).